

ءور المنءرسة فف الءرففة الفكرفة

2017-01-09 شبكة النفا

فصنف علماء الاءءماع المنءمع الى نوعفن؁ فهناك المنءمع الصفر الءف فضم عءءا مءءوءا من الأفراء كالعائلة أو المنءرسة وما شابه؁ وهناك المنءمع الكفر الءف فضم بفن طفائه كل أنواع المنءمعات الصفرة وعموم الأفراء؁ وبهءا فكون لءفنا منءمعفن صفر وكفر؁ ولكن كلاهما بءاءة الى مقوماء الإصلاء الصءفة؁ ءءف ءكون هفناك مواكبة للءطور الاءءماعف الءف فءصل فف عموم المنعمورة.

علماء إن أف ءلل فف عملفة إصلاء المنءمع الصفر؁ سوف فنعكس بصورة أو أءرف على المنءمع الكفر؁ لأن الآخر كما ءءرنا هو ءاصل ءمع المنءمعات الصفرة؁ من هنا فنبغف على المنءطفن للءطور المنءمع وإصلاءه ومعالجة المشكلاء الءف ءء ءعرض طرفه نحو الءطور؁ أن فأءءوا على عاءقهم وفضعوا فف ءسبانهم الءركفز الفعلف على إصلاء العائلة والمنءرسة وكل أنواع الءمعات أو المنءمعات الصفرة؁ فهءا الأمر له انعكاس على طبعفة إصلاء المشكلاء الءف ءء ءءلل النسف الاءءماعف العام.

فقول الإمام الرائل؁ آفة الله العظمف؁ السفء مءء الءسفن الشفراف (رءمه الله) فف ءءابه القفم الموسوم بـ (الفقه: الاءءماع ء1)؁ ءول هءا الءانب: (فنبغف إصلاء المنءمع الصفر؁ أف العائلة والمنءرسة ونءوهماء؁ فقء سبق القول بأن المشاكل العائلفة وسوء ءرفبءهم للأولاء؁ وانءراف الءقافة فف المنءرسة؁ وسوء ءعامل المنعم ونءوه مع الءلامفء؁ فسببان لهم انءرافاً).

ءوءء ءوففهاء ففءمها الإمام الرائل للأبوفن بءصوص ءرففة أفراء الأسرة؁ ففؤكء سماءءه على أهمفة المزاءة بفن (العقل والعاطفة) أثناء رفء الأطفال بالءرففة؁ فلا فكون هفناك ءركفز على الءطور العقلف وءءه؁ ولا على العاطفف وءءه؁ وإنما من الأفضل أن ءشمل ءرففة الأبوفن الءانبفن العقلف والعاطفف معا.

كما نقرأ ذلك في هذا القول للإمام الشيرازي في المصدر نفسه: (ينبغي على الأبوين إعطاء الأولاد العقل والعاطفة معاً، بدون إهمال أو تشديد حتى يحس الطفل بالأمن ويشعر بحدود عمله، فيعطيه حاجاته، وفي الوقت نفسه يعلمانه الانضباط والنظافة والأدب والعمل، وحب الآخرين، والمشاركة معهم وعدم الاستبداد في الرأي أو السلوك).

مقومات إصلاح المجتمع الصغير

وعلى الرغم من أن المدرسة تصنّف على أنها من ضمن المجتمعات الصغيرة، إلا أن دورها في الإصلاح يكاد يقع في الصدارة بسبب الطابع التربوي التعليمي الثقافي الأخلاقي لدورها في تطوير الأفراد والجماعات، ما ينعكس على إصلاح المجتمع الكبير بصورة واضحة، ومع أن تقويم الأطفال في المدرسة أكثر صعوبة وتعقيداً من حاضنة الأسرة الأصغر، لكن يبقى دور المدرسة في غاية الأهمية، لكن هناك مشكلة في الفضاء المدرسي الواسع، حيث النفس مهيأة لاكتساب السيئات أسرع أو أيسر من اكتساب الحسنات.. لهذا ينبغي أن يكون هنالك تركيز في هذا المجال خاصة في التعليم الثقافة وردع الأخلاق السيئة في الوسط المدرسي.

لذلك يؤكد الإمام الشيرازي هذا الأمر بدقة حيث يقول في المصدر المذكور في أعلاه: (أما المدرسة فهي محل التربية الفكرية والعملية، وتقويم الطفل فيها أصعب من تقويمه في البيت، حيث أنه في المدرسة تختلط الأجواء، فإن لكل طالب جواً، والنفس تسرع في اكتساب السيئات أكثر من كسبها للحسنات.. ولذا ينبغي استقامة الثقافة، واستقامة التربية، والمواظبة الكاملة على عدم تفشي الأخلاق السيئة من بعض الطلاب إلى بعضهم الآخر).

علما هنالك تداخل وترابط في عملية إصلاح المجتمعين الصغير والكبير، إذ لا يمكن إصلاح المجتمع الصغير، إذا كان الكبير فاسداً أو غير صالح، وإذا أمكن فإن عملية الإصلاح تكون معقدة وتستغرق وقتاً طويلاً، لذلك يشترط في إصلاح المجتمعات الصغيرة (كالعائلة والمدرسة وما شابه)، أن يكون المجتمع الكبير صالحاً أصلاً، حتى يكون بمقدور الجهات الإصلاحية (تخطيطاً وتنفيذاً)، أن يقوموا بعملية الإصلاح بطرق ناجعة تؤدي المطلوب بنجاح تام.

ولكن اذا كان المجتمع الكبير نفسه معتلاً مريضاً، يعاني من علل وعاهات أخلاقية وثقافية وفكرية وسلوكية، فإن هذه الأمراض تؤثر حتماً وبقوة على عملية إصلاح المجتمعات الصغيرة، وتجعلها أكثر تعقيداً إن لم تكن مستحيلة، فكيف يمكن أن تصلح عائلة في مجتمع فاسد، هذا شبه مستحيل إن لم يكن المستحيل بعينه، من هنا يأتي التركيز والتأكيد المستمرين على أهمية أن يكون المجتمع الكبير صالحاً، حتى تسهل عملية إصلاح المجتمع الصغير.

كما نلاحظ ذلك في قول الإمام الشيرازي في هذا الشأن: (لا يخفى، أن المجتمع الصغير مندمج في المجتمع الكبير، لذلك ينبغي أن يكون المجتمع الكبير صالحاً أيضاً، إذا أريد إصلاح المجتمع الصغير).

مقومات إصلاح المجتمع الكبير

وعندما نتطرق الى عملية إصلاح المجتمع الكبير، فإن الأمر سوف يكون أكثر صعوبة بسبب تعلق هذا النوع بالإصلاح في مجالات عديدة مثل الاقتصاد والسياسة والمؤسسات الاجتماعية والتربية وسواها، كما يشير الى ذلك الإمام الشيرازي، وكما هو واضح أن الإصلاح بهذه السعة وهذا التنوع والتعدد على مجالات واسعة ومهمة، يحتاج الى كوادر كبيرة لتنفيذ عمليات الإصلاح الواسعة والمتعددة المجالات.

فالسياسة ينبغي أن يتم تخصيص فريق إصلاحي خاص بها، نظراً لأهميتها، وانعكاس هذا النوع من الإصلاح على مجالات حياة الإنسان كافة، فعندما يتم تعديل السياسة الى ما هو أفضل، هذا يعني أنك سوف تنجح في إصلاح الاقتصاد والتربية والصحة والثقافة، نعم لإصلاح السياسة تأثير كبير على عملية الإصلاح المجتمعي الشامل، ولكن يبقى الأمر بحاجة الى كوادر متخصصة كل حسب مجاله، فمثلاً الثقافة لكي يتم تطويرها وتحديثها تحتاج الى كادر ثقافي متخصص ومتطور جداً، وينطبق هذا الأمر على المجالات الأخرى كافة.

فلا يصح مثلاً أن يتصدى فريق قاصر لإصلاح الاقتصاد، وأمر طبيعي أن الإدارة السياسية إذا صلحت، وأن صنع القرار اذا كان سليماً وعلمياً ودقيقاً ومطابقاً للمطلوب بحسب الظروف المحيطة، فإن

النجاح سوف يكون حليف الكادر الإصلاحى فى الاقتصاد، وينطبق ذلك على المجالات الأخرى التى ينبغى أن يطولها التصحيح.

كما نلاحظ ذلك فى القول الآتى للإمام الشيرازى: (أما إصلاح المجتمع الكبير، فهو من أشكال الأمور. إذ يتدخل فى ذلك الاقتصاد والسياسة والشؤون الاجتماعية، والعمران، والتربية، وغيرها، وهذا النوع من الإصلاح بحاجة إلى جيش من المصلحين، ومن المثقفين، والمحنكين حتى يمكن إصلاحه).

علما أن المجتمع الكبير لا يمكن تغييره بوسائل بسيطة، ولا بإمكانيات وموارد ضعيفة، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف من خلال خطوات فردية ضئيلة المستوى أو الحجم، نحن هنا نتحدث عن عملية إصلاحية كبيرة تتعلق بإصلاح مجتمع كبير متعدد وواسع من حيث الكم والنوع، لهذا يحتاج الأمر إلى طاقات نوعية متخصصة وكبيرة الحجم والمستوى، بما يتناسب وحجم الهدف من العملية الإصلاحية نفسها، لذا يستدعى الأمر موجة هائلة من التخطيط العلمى السليم، يضع فى حساباته جميع المعوقات والمفاجآت ويمهد لما هو مطلوب وما هو ممكن فى هذا المجال الهام.

يقول الإمام الشيرازى عن هذا الموضوع بصورة محددة فى كتابة (الفقه: الاجتماع ج1): (فى إطار إصلاح المجتمع الكبير ينبغى مثلا محاربة تعاطي الخمر والمواد المخدرة، والانحراف والشذوذ الجنسى، ولا يمكن إصلاح المجتمع من خلال فتح مدرسة، أو إصدار مجلة وما أشبه، فهذه معالجات جزئية، لا يمكن إصلاح المجتمع الكبير بها، وإنما إصلاحه بحاجة إلى تخطيط عام يشمل كل الجوانب وأول الإصلاح هو أن يكون القائمون به صالحين، وإلا فإن: فاقد الشيء لا يعطيه).